ضياع الحركات في النظام المقطعي في الإدغام الكبير عند أبي عمرو بن العلاء

آمــــنـــة صــالــح الـــزعـــبـــي

أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية العلوم والآداب
الجامعة الهاشمية، الأردن

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أثر ضياع حركات أواخر الكلمات في اللغة العربية في تشكيل مقاطع صوتية لا يقبلها النظام الصوتي المعياري الذي ثبتت عليه اللغة العربية الفصحى، وهو ما أسهم في إيجاد أوضاع صوتية غريبة عن هذا النظام.

وقد بدأت الدراسة بتمهيد تناول قضية الإعراب وآراء العلماء العرب القدامى والمحدثين وآراء المستشرقين في قضايا أصالة الإعراب في العربية، وهدف الدراسة، والطبيعة المقطعية للنظام الصوتي العربيّ، ثم تحدّثت عن أثر ضياع الضمّة فالكسرة فالفتحة، متّبعة في سبيل تحقيق هدف الدراسة المنهجين: التاريخي المقارن، والتحليلي.

تُمَثِّلُ قضيَّةُ الإعرابِ منذُ فجر الدراسات اللغويةِ إشكاليةً كُبْرى في تفسير العلاقات اللغوية الداخلية التي تحكم الشكل اللغوي والعلاقات النحوية التي تُشَكِّل النظام الجملي للغة العربية، واللغات المعربة بصورة عامَّة؛ إذْ يرى عددٌ كبير من العلماء، جُلُّهُم تقريباً، أنَّ الإعرابَ الذي تُمَثِّلُه الحركاتُ الإعرابيةُ في اللغةِ العربيةِ، خاضعٌ للتَّغيُّرِ وفقَ سياقاتٍ مختلفةٍ أطلق عليها العلماء مصطلح تغَيُّر العامل، وهذه الحركات من وجهة نظرهم، تدلُّ على المعاني المختلفة التي تعتورُ الأسماء من فاعلية أو مفعولية أو إضافة، وما إلى ذلك[1].

وذهبت قِلَّة من هؤلاء النحويين إلى رفض فِكْرةِ أنْ تكونَ الحركات الإعرابية دالَّة على أيِّ معنى، ويمثِّلُ هذا الرأي واحد من تلامذة سيبويهِ الذين قَدَّمُوا جهوداً كبيرة في الدراسات اللغوية العربية، ولا سيَّما الجهود اللغوية المعجميّة العربيَّة، وهو محمَّد بن المستنير، المعروف بـ"قطرب"[2]، فقد ذكر أنَّ الحركات الإعرابيَّةَ ليس لها دلالة على المعاني المذكورة، وإنَّما جِيءَ بها للسرعةِ في الكلام، وللتَّخلُّصِ من التقاء الساكنين عند اتِّصالِ الكلامِ، وقد ردَّ عليه العلماء ردوداً جدليَّةً رأوا أنَّها تناسبُ حجَّتَهُ التي احتَجَّ بها، وهي وصل الكلام والسرعة في الأداء[3].

كما انتقَلَتْ هذهِ المقولة إلى المعاصرين من مستشرقين وعرب، فانقسموا أيضاً إلى قسمين؛ يرى الأوَّلُ منهما أنَّ الإعرابَ ظاهرة أصيلة في اللغة العربية واللغاتِ الساميَّةِ، وقدْ تَخَلَّصَ معظم هذه اللغاتِ منها، فلمْ تَعُدْ تحتوي على مظاهرها المختلفةِ، بسبب تَعَرُّضِها لفعل قوانين التطور الصوتيّ، وطلباً للخفَّة والتيسير على أبنائها، معتمدين في رأيِهم هذا على أنَّ بعض هذه اللغات قد ظلَّ محتَفِظاً بهذه الظاهرة، كاللغة العربية الفصحى، والأكادية التي تشمل البابليَّة والآشورية في عصورها القديمة[4]، وإنْ كانت حالات الإعراب في العصور المتأخِّرة قد اضطربت وأصابها الخلط، بسبب محاولة تقليد الكُتَّاب الأكاديين للكتابات القديمة، وفقاً لما أورده بروكلمان[5].

كما استندوا في إثبات أصالة الإعراب في اللغةِ العربيةِ واللغات الساميَّةِ، على وجوده في اللغة الأوغاريتية التي بِتْنا نحملُها على اللغة الكنعانية، فقد أثبتتْ

كتابة هذه اللغة البائدة الحركات الإعرابية في حالةٍ واحدةٍ، وهي الحالة التي يكون آخر الاسم المعرب همزة. والهمزة هي الحرف الوحيد الذي أثبتتْ الأوغاريتية له العلامات الحركية، بنائية كانت أم إعرابية، وأهملت الحركات على ما سواه(6).

كما أنَّ اللغة الحبشية (الجعزية) ظلَّتْ محتفظة بِحالَةِ النصبِ التي لا تختَلِفُ عن نظيرتها في اللغة العربية، فقد جاء فيها مثلاً: wa>aqāmka lōtū kīdāna "وأقمْتُ له عهداً"، فكلمة kīdāna مفعول به، وتظهر في آخره الحركة الإعرابية (a)، وهي الفتحة كما هو الحال في اللغة العربية، بل إنَّ الأمهارية، وهي لغة حبشية ما زالت حيَّة في إثيوبيا، ظلَّتْ محتفِظةً بهذهِ الفتحةِ إلى يومِنا هذا(7).

أمَّا السريانيَّةُ، فقد ضاع منها الإعرابُ قبل أنْ يُسَجِّلَ لنا نظامُها الكتابيُّ شواهدَ على هذهِ الظاهرة، أو بقايا تشير إلى أنَّها استعملتها، في حين ظلَّت العبرية محتفظة ببعض المتحجِّراتِ اللغوية(8)، التي نستهدي بها إلى أنَّ ظاهرة الإعراب كانت يوْماً ما، من الظواهر الموجودة فيها؛ فقد جاء في المزمور الثالث عشر من مزامير النبي داود في الكتاب المقدّس (العهد القديم) yāġōn bilibbābi yōmām وهي عبارةٌ تعني: حزنٌ في قلبي يوميَّاً (حرفيَّاً)، فالميمُ الثانيةُ في (yōmām) هي جزء من ظاهرة التمييم (mimation) التي تقابل التنوين في العربية، والفتحةُ قبلها من بقايا النصب في العبرية للدلالة على الظرفية(9).

وأمَّا الاتِّجاه الثاني، فقد انطلق من رؤيةٍ تتمثَّل في هجمتهم على القرآن الكريم ولغته؛ إذْ هي من وجهة نظر بعضهم، لغة جرت عملية صناعتها أو كما يقولون (فبركتها)، بعد القرن الأوَّل الهجْريِّ، على يدِ مجموعَةٍ من النحاة، وترى هذه المجموعة أنَّ القرآنَ نزل بلهجة قريش، وهي لهجة النبي محمَّد صلَّى اللهُ علَيْهِ وسلَّم، وأنَّ هذه اللغة لم تكن مُعْرَبَةً على الإطلاق، أي أنَّهَا لَمْ تَكُنْ مُحَرَّكَةَ الأواخرِ، ولكنَّ النَّحويينَ صنعوا هذه الظاهرة، ووضعوا لها معاييرَ وقواعدَ ضابطةً، بسبب رحيل القُرَّاء، وَنَقَلَة النَّصِّ القرآنيِّ إلى الأمصار الإسلامية المختلفة التي يسكنها البدو، مما دفع بالنحويين إلى وضعِ (لغة نموذجية) كما

يقولون، كان الإعرابُ ميزَةً من ميزاتِها، ثُمَّ أُدْخِلَ الإعراب في القرآن، ومن أصحاب هذا الرأي: إسرائيل ولفنسون، وفولرز، وكاله، ومرسيل كوهين، وغيرهم[10].

ولم يَتوقَّف الأمر عند هؤلاء المستشرقين، بل لقد تعدَّاهم إلى بعض العلماء العرب، وإنْ كانوا ينطلقون من رؤى غير تلك التي انطلق منها المستشرقون، كما حدث مع إبراهيم أنيس، الذي طبَّقَ لأوَّلِ مرَّةٍ في تاريخ الفكرِ اللغويِّ العربيِّ الحديثِ، معطيات المنهج الوصفي التقريري، وهو المنهج الذي اتَّبعهُ اللغويّون التركيبيون[11]؛ فقد انطلق الدكتور إبراهيم أنيس من هذا المنهج الذي يغالي في الاعتداد بالتجريب وإهمال الجانب العقلانيّ (الذي لا يخضع للجانب التجريبيّ)، فذهب إلى أنَّ الإعرابَ ظاهرة مصنوعة، وذلك حين قال في حديثه عن قصَّةِ الإعرابِ: "ما أروعَها قصَّةً! لقد استمدَّت خيوطَها من ظواهر لغوية متناثرة بين قبائل الجزيرة العربيّة، ثُم حِيكت، وتمَّ نسجُها حياكةً مُحْكَمَةً في أواخر القرنِ الأوَّلِ الهجريِّ، أو أوائل القرن الثاني، على يدِ قوم من صُنَّاع الكلام، نشأوا معظم حياتهم في البيئة العراقية، ثُمَّ لم يَكَدْ ينتهي القرن الثاني الهجريِّ، حَتَى أصبحَ الإعراب حصناً منيعاً، امتنع حتّى على الكُتَّابِ والخطباء والشعراء من فصحاء العربيَّة، وشقَّ اقتحامُهُ إلا على قومٍ سُمُّوا فيما بعد بالنُّحاة "[12].

ونُشيرُ هنا إلى أنَّ هذه الدراسة لمْ تَضَعْ من أهدافها الردّ على القائلين بحدوث ظاهرة الإعراب وصناعته على أيدي النحويين، بلْ إنَّ علمَ اللغةِ الحديث، لا يُقِرُّ بأنَّ مجموعَةً من النحاة مهما بلغ عددهم، قادرون على استحداث مظهر معقَّد من مظاهر اللغة، كمظهر الإعراب مثلاً، بل إنَّهُمْ عاجزون عن إدخالِ أيِّ مظهرٍ حتَّى لو كان محدوداً، بصورة واعيةٍ؛ لأنَّ المظاهرَ اللغويَّةَ تتشكَّلُ بصورة تلقائية بعيدة عن التَّشَكُّلِ الواعي من أبناء اللغة.

ولكننا نشير إلى أنَّ عدداً من علماء العربية قد انبرى لتفنيدِ هذا الرأي والردِّ عليه، ومن هؤلاء: إبراهيم السامرائي[13]، ورمضان عبد التوَّاب[14]، ومحمّد الأنطاكي[15]، وغيرهم.

كما نشيرُ أيضاً إلى أنَّ الإعراب كان مظهراً من المظاهر التي اختارتها بعضُ اللغات، لتمييز العلاقات الموجودة في بناها الجملية، وهو أمرٌ تتفاوتُ فيه اللغات المعربةُ، فبعض اللغات كالعربية مثلاً، اختارت أنْ تُضيفَ لاحقةً تُشيرُ إليها، ولا تقبلُ الانفصال عن الاسم الذي يستشعرُ الذهنُ فيهِ وحدةً قائمة بذاتها؛ لأنَّ تحديد وظائف الاسم قد أصبح متَّصلاً بها، وهي ما يطلق عليه الإعراب(16).

هدف الدراسة

وأمَّا هدف هذه الدراسة، فهو وَضْعُ إجابةٍ مقنعةٍ تعتمدُ التحليل اللغويّ أداةً لها، للفرضيَّة التي تريد الدراسة طرحها، وتتمثَّلُ بالطرح الآتي: يُمَثِّلُ ضياع حركات الأواخر سواء كانت الحركات بنائيةً أمْ إعرابيَّةً من الاستعمالات اللغوية في بعض البيئات الاستعماليَّة آليةً من الآليات التي أدَّت إلى حدوث عمليات إدغام، ما كانت لتحدثَ لولا ضياع الحركات، وهذا يسهم في توليد بعض العناقيد الصوتية(17) التي لا نجدُها في النظام الصوتي للعربية الفصحى. أو يمكن القول إنَّ هذا الضياعَ قد آلَ في النهاية إلى حدوثِ عملياتٍ صوتيَّةٍ تهدِفُ إلى السهولَةِ والتيسيرِ على الناطقين بها، وأهمُّها عمليات المماثلةِ التي لا نجدُها بهذه الكيفيةِ في ظلِّ بقاء الحركةِ الإعرابية التي تمنعُ حُدُوثَها في هذا السياق، وقد طرحتِ الدراسة في سبيل الوصول إلى حلٍّ لهذه القضيَّةِ الفرضيَّةَ السابقةَ، ولجأت من ثَمَّ إلى استقراء كثير من الأمثلةِ التي تُمَثِّلُها من القراءات القرآنية.

وفي سبيل هذا، فإننا نقول: إنَّ قضيَّة الإدغام ليست من القضايا التي لمْ تتعرَّضْ لدراسات تضيءُ جوانِبَها المختلفة، بل إننا لن نكونَ مبالغين إذا قلنا إنَّ هذه القضيَّة تحتَلُّ مساحةً كبيرة من الدرس اللغويِّ قديمه وحديثه، وهذه القضيَّة إحدى القضايا التي كان للقرآنِ الكريم دورٌ في لفت الأنظار إلى دراستها؛ لأنَّها تُمَثِّلُ ظاهرةً مُهِمَّةً من ظواهرِ تلاوتِهِ، وتحسين قراءته، ولعلَّ ما ورد عن سيبويه من دراسات حول هذهِ الظاهرةِ، يُعَدُّ من أدَقِّ ما يقال فيها وأشمله، وقد تابعه في نظراته العلمية، جميع من جاء بعده من العلماء الذين عنوا بدراسة العربية، حتّى

وصل الأمرُ في مرحلةٍ مبكِّرةٍ إلى وضع الرسائل المتخصصةِ في هذا الموضوع، كما فعل أبو سعيدٍ السيرافيُّ (ت368هـ)، الذي وضعَ رسالة مختصرةٍ في (إدغام القراء)، ضَمَّنَها بعض المواضع المثيرة للاهتمام حقّاً، وقد تَعَلَّقَ بعض جوانبها ببعضِ الصورِ التي لمْ يلتفت إليها القدماءُ أنفسهم إلا التفاتة عابرة، كهذه الظاهرة التي ستبحثها هذه الدراسة الموجزة، وهي أثر الميلِ العارضِ للغةِ نحوَ الإدغام في توليد سلاسل لغويَّة (تتابعات صوتية مقطعية) غير متاح للنظام الفصيح (المعياري القياسيّ) الذي استقرت عليه اللغة العربية الفصحى أو اللغة الأدبيَّة أنْ يَصِلَ إليها، وهي نتيجةٌ قد وصلت إليها بعض المستويات اللغوية التي لا نشكُّ بفصاحتها باعتبارها مُتَضَمَّنَةً في قراءة أبي عمرو بن العلاء، وهو نحويٌّ بارزٌ يعدُّ من شيوخ سيبويه، وهو بعدُ، واحد من القُرَّاء السبعة الذين ارتضت الأمَّةُ قراءتهم المروِيَّة عنهم بأسانيدها المعتبرة في هذا المجال.

ولم يختلف المعاصرون عن القدماءِ في درسهم لهذه الظاهرة إلا اختلافاً يسيراً، فقد انطلقوا من الفكرة نفسها بعد أنْ غَيَّروا قليلاً في التعبير عن مفهومها، فإذا كانت عند القدماء إدخالَ صوتٍ في آخرَ[18]، فقد صارت في تعبير أحد المعاصرين فناء الصوت في الآخر[19]، وهو على أيِّ حالٍ نوعٌ من أنواعِ التأثر (المماثلة).

وقد أورد المعاصرون تقسيمَ القُرَّاء للإدغام، فهو عندهم كما يقول الدكتور إبراهيم أنيس نوعان: "إدغام صغير، وهو الشائع المروِيُّ عن جمهورِهِمْ، وفيه يتحقَّقُ مجاورةُ الصوتينِ المتجانسين أو المتقاربين؛ إذْ لا فاصلَ بينهما. وإدغام كبير، وفيه يفصلُ بين الصوتين المتجانسين أو المتقاربين صوتُ لينٍ قصيرٌ، وينسب هذا النوعُ الأخير من الإدغام إلى أبي عمرو، أحد القُرَّاءِ السبعة"[20].

وسَتُعْنَى هذه الدراسةُ بالنوع الذي أُطْلِقَ عليه الإدغام الكبير، فقد وجدتْ أنَّ هذا النوعَ لا يمكن أنْ يتِمَّ مع وجود هذا الصائتِ القصيرِ، فلا بدَّ لحدوثِهِ من أن يضيعَ الصائت الذي يمَثِّلَ حركةَ الآخر، سواء أكانت حركةَ إعرابٍ أم حركةَ بناء، ومن ثَمَّ، تحدثُ عمليةُ الإدغام التي يترتَّبُ عليها، في بعضِ السياقات،

تَشَكُّلُ عنقودٍ صوتيٍّ (سلسلة من الأصوات المتتابعة) لا نتوقَّعُ وجودَه في المستوى المعياري الفصيح للغة العربيَّة، ولكنَّهُ موجودٌ في هذه الظاهرة المروِيَّة عن أحدِ القُرَّاء السبعة، وهو أبو عمرو بن العلاء، وهو ما يعني وجودها استخداماً في بعض البيئات الاستعماليَّة.

طبيعة المقاطع في اللغة العربية

من المسلَّماتِ في الدراسات اللغوية المعاصرة أنَّ المقطعَ في العربية يجبُ أنْ يبدأَ بصامتٍ، ويُثَنَّى بِحَرَكَةٍ[21]، ومن ثَمَّ، فإنَّ هذا يعني أنَّهُ لا يجوز أنْ يتوالى صوتان صامتان في المقطع الواحد، إلا في نهاية الكلام، أو في حالة الوقفِ على الصامتِ الأخيرِ، كما في كلمة (أُخْتْ) مثلاً.

ومن ثَّمَ، فإنَّهُ لا يجوزُ في النظامِ المقطعيِّ للغة العربية، أنْ يتوالى ثلاثةُ أصوات صامتةٍ في مقطعٍ واحد، أو في مقطعين متجاورين، أي أنَّ النظامَ الصوتِيَّ العربيَّ يمنعُ وجودَ عنقود صوتيٍّ مُكَوَّنٍ من ثلاثة صوامت دون أنْ يُفْصَلَ بينها بحركة، حتى لوكانت في مقطعين مختلفين، وإنْ كان هذا مسموحاً به في بعض اللغات الأخرى، كالإنجليزية مثلاً، كما في كلمة (strange)، فقد بدأت الكلمةُ بعنقود صوتي (sound cluster)، مكوَّنٍ من ثلاثة أصوات صحيحة (str)، بل إن الإنجليزية تسمحُ بتكوُّنِ عنقود صوتي مكوَّنٍ من أربعة صوامت، وذلك كما في كلمة (sixths)[22].

ولكن علينا أنْ نُنَبِّهَ هنا إلى أنَّ هذا النظام، وإنْ كان ملزماً في المعيار الفصيح، فإنَّه قابلٌ للاختراق في بعض الاستعمالات اللغوية، وهذا الاختراقُ يُثْبِتُ أنَّ اللغةَ العربية، كانت في مرحلة ما من مراحل تاريخها، تسير في الطريق الذي سارت فيه أخواتها من اللهجات القديمة التي يطلق عليها اسم اللغات السامية؛ كالأكادية في مراحلها المتأخِّرة، والإثيوبية[23]، واللغات الأخرى التي فقدت الإعراب نهائياً[24].

فالذي حدث هنا فيما أطلقنا عليه (اختراق قاعدة النظام الصوتي) يُثْبِتُ أنَّ اللغةَ في مرحلة ما، لم تكُنْ تُمانعُ في بعض مستوياتها من فقدان حركات

الأواخر، وهو ما يدفعُ ببعض الأنماط اللغوية إلى الاتّجاه نحو الإدغام، ولو أنَّ هذه الأنماط لم تتخلَّصْ من حركات الأواخر، لما حدثت عملية الإدغام، وهذه العملية دفعت بدورها إلى تَشَكُّلِ عنقود صوتيٍّ مكوَّن من ثلاثة صوامت متتالية، كما في الأحوال الآتية:

1 - ضياع الضمَّة

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾[25]، تشكَّلت مقاطع قوله (حيث شئتم) وفق النظام المعياري، من أربعة مقاطع مقبولة، وهي (\ḥay/ṯu/ši>/tum\)، وحركة آخرِ (حيثُ) القياسيَّة هي الضمَّةُ[26]، وهذه الضمَّة تُشَكِّلُ نواة لمقطعٍ مستقلٍّ، وهو (ṯu)، ولكنَّ هذه الحركة مُعَرَّضَةٌ للضياع في بعض الاستعمالاتِ اللغوية، كما حدث في قراءة أبي عمرو بن العلاء، الذي أدغم الثاء في الشين بعدها[27]، وهو إدغامٌ لا يمكن تَحَقُّقُهُ إلا إذا ضاعت الحركة البنائية في (حيثُ)، فلما ضاعت، سُكِّنَ آخرها، وبعدها الشينُ، ومعروف لدينا أن الثاء صوت بين أسناني (ينطق من بين الأسنان)، وهو ليس بعيداً عن الشين كثيراً في المخرج، بدليلِ تحوُّلِه في بعض اللهجات القديمة إلى الشين، كما في الأكادية والعبرية مثلاً، ولذا فقد حدثت عمليَّةُ المماثلة الكليَّة بينهما، إذْ تماثلت الثاء الساكنة مع الشين تماثلاً مدبراً كليّاً متَّصلاً (بعد ضياع الضمَّة)، والمخطَّط الآتي يوضِّحُ هذه المماثلة:

الأصل الفصيح	ضياع الحركة	الصورة النهائية
ḥay/ṯu/si>/tum	← ḥayšši>tum	← ḥayt/ši>tum

ولو أدَّت هذه العملية التي حدثت في هذه القراءة القرآنية الصحيحة المرويَّةِ عن أبي عمرو بن العلاء إلى الإدغام فقط، لما كانَ لنا أنْ نقول شيئاً فيها، ولكنَّهَا أدَّتْ إلى عمليةٍ أخرى تُعَدُّ خرقاً واضحاً للنظام الصوتيِّ المعياريِّ للفصحى، وهو تَشَكُّلُ عنقودٍ صوتيٍّ مكوَّنٍ من ثلاثةِ صوامتَ متواليةٍ لا تفصلُ بينها حركة، على ما هو متَّبع في هذا النظام، فقد التقت الياء الساكنة (شبه

حركة) مع الشين التي تحتوي على البنية العميقة للثاء، وهذا العنقود الصوتيّ، هو المشار إليه في التحليل الصوتي بـ(yšš).

وقد حدث مثلُ هذا أيضاً في قوله تعالى: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾[28]، فالمقاطع الصوتية التي تُشَكِّلُ قوله (شهرُ رَمضانَ) هي كما يأتي:

šah/ru/ra/ma/ḍā/na

وهو كما نرى، مقاطع تتَّفقُ مع النظام المقطعي للغة العربية في معيارها القياسي. ولكنَّ بعض الاستعمالات اللغوية المروِيَّة رواية صحيحةً، جاءت على غير هذا المعيار، ، وحدث فيها الخرق السابق الذي تَحَدَّثنا عنه، فقد رُوِيَ عن أبي عمر بن العلاء أَنَّهُ قرأَ: شَهَرْ رَمَضانَ، بالإدغام[29]، وهذا الإدغام لا يمكن أنْ يحدثَ إلا إذا ضاعت حركةُ الإعراب، وهي الضمَّةُ التي يستحقُّها (شهرُ)، باعتبار علاقة الإسناد التي يخضعُ لها، ولمّا ضاعت هذه الحركة، التقت الراء المسكَّنةُ من (شهر) مع الراء في (رَمَضان)، وشكَّلَ هذا الوضع الجديد سبباً للإدغام، مما دفع إلى تشكُّلِ العنقود الصوتي المكوَّن من ثلاثة صوامت، فالهاء ساكنة أصلاً، ويمكن تمثيلُ ذلك على النحو الآتي:

šahrra ma ḍā na	⟵	šah/ru/ra/ma/ḍā/na
الصورة النهائيَّة		الأصل المعياري (الفصيح)

والعنقود الصوتيُّ هنا هو (hrr).

كما نجدُ مثل هذا في قوله: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾[30]، فقوله: (ذكر رحمة)، مكوَّنٌ من المقاطع الآتية: (ḏik/ru/raḥ/ma/ti)، وهي خمسة مقاطع موافقة للنظام المقطعيّ المعياري للغة العربية، ولكن إشارة أبي سعيد السيرافيّ إلى ما سمَّاه (خفاء)، تخالف هذا النظام، فقد رُوِيَ عن أبي بكر بن مجاهد، أنَّ هذا ليس بإدغام؛ لأَنَّهُ يُخْفِي الحركةَ، فَتَخِفُّ بعض الخِفَّةِ، فيشبه الإدغام[31].

وأمَّا واقع ما رُوِيَ، فهو أنَّ أبا عمرو بن العلاء قد أَدْغَمَ الراء في الراء

هنا، وهو أمرٌ غير ممكن الحدوث من وجهة صوتيَّة، إلا في حال فقدان الحركة الإعرابية؛ مما يهيئ التقاء الراء الساكنة (بعد تسكينها)، مع الراء المتحرِّكَة بعدها، فتحدث عملية الإدغام:

الصورة النهائية		الصورة الفصيحة (المعيارية)
d̲i(krr)aḥma/ti	⟵	d̲ik/ru/raḥ/ma/ti

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[32]، روى أبو سعيد السيرافيّ أنَّ أبا عمرو بن العلاء قرأ (بخلاف عنه): الرأشّيباً، أي: بإدغام السين في الشين[33]. ومهما يكن من أمر ثبوت رواية الإدغام أو المنع عن أبي عمرو، فإنَّ ما حَدَثَ فيها، يمكن حملُهُ على الأنماط السابقة، فلا يمكن لعملية الإدغام أن تحدثَ على هذا الوجه، إلا إذا سُكِّنَتِ حركةُ الإعراب في (الرأس)، وهي الضمَّة الناتجة عن العلاقة الإسناديَّة، وهي الفاعليَّةُ، وعند ذلك تلتقي السين الساكنة مع الشين المتحرِّكَةِ، ولوجود بعض التقارب الصوتي بينهما، حدثت عملية الإدغام، وهذا الإدغام أدَّى بدوره إلى الجمع بين ثلاثةِ صوامت في عنقود صوتي واحد، فالأصل في مقاطع عبارة (الرأسُ شَيْبَاً) هو: (">"ar/ra>/su/šay/ban) وهي خمسة مقاطع متوافقة مع النظام المقطعي العربي للغةِ الفصحى، وعندما سُكِّنَت السين في المقطع (su)، حدثت عملية الإدغام، والذي يهمُّنا هو أنَّ ضياع هذه الحركة أدّى إلى التقاء الهمزة الساكنة (أصلاً)، مع الشين المشددّةِ التي تُشَكِّلُ السين جزءاً من بنيتها العميقةِ، وقد حدثَ هذا الوضع (التقاء ثلاثة صوامت) وهي (>šš)، على الرغم من أنَّ البصريين لا يجيزونَ أنْ تُدْغَمَ السين مع الشين، ولا الشين مع السين[34].

ولا بدَّ أنْ نذكرَ أنَّنا هنا أمام خيارين دفع إليهما التقاء الصوامتِ الثلاثة في هذه العناقيد الصوتية، وهذان الخياران هما: أنْ نقرَّ بأنَّ اللغةَ قد تخلَّصت من الحركة نهائياً، وأنَّها بهذا تكون قد أشبهت غيرها من اللهجات الساميّة القديمة في تخلُّصِها من الإعراب، أو أن تكون حركةٌ قصيرةٌ قد انزلقت بين هذه الصوامت لتفصل بينها، فإذا وقعنا تحت سطوة النظام المعياري للعربية

الفصحى، فإننا سنكون مدفوعين إلى القول بانزلاق هذه الحركة، وهو ما دفع ابن مجاهد والسيرافي إلى القول بأنَّ هذا خفاءٌ، وليسَ إدغاماً.

2 - ضياع الكسرة

لا يقتصر ضياع الحركة على حالة إعرابية معيَّنة؛ إذْ إنَّهُ من الممكن أنْ تضيعَ الكسرةُ أيضاً من بعض السياقات اللغوية، مما يؤدي إلى وضع مهيَّأ للإدغام، وإنْ كان يؤدي إلى نشوء عنقود صوتي أو سلسلة صوتية مكوَّنَةٍ من ثلاثة صوامت متوالية لا يُفْصَلُ بينها بحركة، كما هو الحالُ في الأمثلة السابقة التي ضاعت منه الضَّمَّةُ، وهو الوضع الذي ذكرنا أنَّهُ المعيار الفصيح.

فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾[35]، فقوله (أمرِ رَبِّهِم) يتكون من المقاطع الصوتية الآتية: (>am/ri/rab/bi/him)، وهي مقاطع تتفق مع طبيعة النظام الفصيح من حيث ترتيب حدود المقاطع الصوتية الصامتية والنوى الصائتة، وأمَّا ما رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء من أنَّه قرأ: أمْرْ ربِّهم بالإدغام[36]، فيتشكَّلُ فيه خرق للنظام الصوتي للغة العربية الفصحى؛ لأنَّ ضياعَ حركة الراء، سيؤدِّي إلى التقاءِ الراء الساكنة والراء التي بعدها.

كما أنَّ الميمَ التي قبل الراء ساكنة في الأصل، وهذا يؤدِّي إلى وقوع الميم والراء المُسكَّنة والراء التي في (ربهم) في عنقود واحد، دون وجود حركة فاصلة بينها، أي: (mrr)، ولمَّا كان هذا صعباً، فقد دفع السيرافيَّ نفسَهُ إلى القول إنَّ هذا ليس إدغاماً، بل هو خفاء[37]، فكأنَّه يشير إلى وجود حُرَيْكَةٍ منزلقة (mirr)، للتخلُّص من هذا الوضع الصوتي، فالأمر تمَّ على النحو الآتي:

الصورة الفصيحة (المعيارية)		الصورة الجديدة
>am/ri/rab/bi/him	⟵	>amrr/ab/bi/him

ولن يحدثَ الإدغام أو الخفاء الذي أشار إليه أبو سعيد السيرافيُّ دون ضياع الإعراب.

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً، ما جاء في قوله تعالى: ﴿مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ﴾[38]، إذْ تتشكَّلُ عبارة (بعد ضراء) من المقاطع الآتية: (ba</di/ḍar/rā/>a)، وهي

مقاطع مقبولةٌ، وتتوافق مع النظام الصوتي للعربيّة الفصحى، ولكن ما رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء أنَّه أدغم الدال في الضاد[39]، يخالفُ هذا النظام؛ لأنَّ الإدغام لن يحدثَ في هذا السياق إلا بعد ضياعِ الحركة الإعرابيّة، ولمَّا كانت العين قبل الدالِ ساكنة في الأصل البنائيّ، فقد أدَّى هذا إلى تكوُّنِ العنقود الصوتي المكوَّن من ثلاثة أصواتٍ صحيحة، وهي: (ḍḍ<)، أي: (بعضَّرَّاء) نتيجة إدغام الدال في الضاد، وبعيداً عن هذا السياق الصوتيّ، فإنَّه إدغام له ما يسوِّغُهُ من حيث مخرج الدال والضاد التي ننطقُها الآن؛ لأن الصوتين من المخرج اللثوي الأسنانيّ.

وفي قوله: ﴿إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[40]، رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء إدغامُ الشين في السين[41]، وبعيداً عن عملية الإدغام بين الصوتين، وهي عمليّة مسوَّغة صوتيّاً، فإنَّ هذا الإدغام لن يحدثَ إلا إذا ضاعت الحركة الإعرابيّة التي تفصلُ بينهما، وهي الكسرة المتحصِّلة باعتبار موقع المضاف إليه الذي وقعت فيه كلمةُ (العرش)، فلمَّا ضاعت الكسرة، وَسُكِّنَت كلمة العرش، التقت الشين بالسين دون وجود فاصل، فأدَّى هذا إلى عملية الإدغام، وهذا أدَّى بدوره إلى تَشَكُّلِ العنقودِ الصوتيّ المكوَّن من ثلاثة صوامت، دون وجود فاصل حركيٍّ بينها، على النحو الآتي:

عرشِ سبيلا	←	عرشْ سبيلا	←	عرْسّبيلا
<ar/ši/sa/bī/lā	←	<aršs/bī/lā	←	<arssabī/lā
الصورة الفصيحة (المعيارية)		ضياع الحركة		الصورة النهائية

والذي نلحظه هنا هو تتابع الراء والشين والسين (rss)، ثمَّ حدثت عملية الإدغام التي نلحظها في البنية السطحية (rss).

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ﴾[42]، فقد أدغم أبو عمرو ياء (البغي)، وقبلها ساكنٌ، بياء (يَعِظُكُمْ)، وذلك في حالة الوصل[43]، وقد أدَّى إلى هذا الإدغام أوَّلاً ضياعُ الحركة الإعرابية التي استحقَّتها كلمة (البغي)، وهي الكسرة، باعتبار أنَّ (البغي) تابع بالعطف على المجرور الذي قبله، وهو (المنكر) التابع لـ(الفحشاء) المجرورة

بـ(عن)، وهو ما أدَّى إلى التقاء ياء ساكنة، مع ياء متحرِّكة، فحدثت عملية الإدغام، وحدثَ معها أيضاً تَكَوُّنُ عنقود صوتيٍّ مكوَّنٍ من ثلاثة أصوات صحيحة، لا يُفْصَلُ بينها بحركة، أي:

بغي يعظكم	←	بغيعظكم
baġ/yi/ya/<i/żu/kum	←	baġyya<iżkum
الصورة الفصيحة		الصورة النهائية

فالمقاطع في الخطوة الأولى تتوافق مع النظام المقطعي للمستوى المعياري الفصيح للعربيّة، في حين تغيَّرَ هذا الأمر إلى وضعٍ آخر لا يقبله هذا المعيار في قراءة أبي عمرو بن العلاء، وهو تَشَكُّلُ عنقودٍ صوتيٍّ يتوالى فيه ثلاثة صوامت (ġyy).

وأمَّا في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾﴾[44]، فقد رُوِيَ عن أبي عمر بن العلاء أنَّهُ قرأَ: (المهدْ صبيًّا) بإدغام الدال في الصاد[45]، أي: (المَهصّبيًّا)، وهو إدغامٌ لا يمكن أنْ يحدُثَ مع بقاء الوضع الصوتيِّ على ما تسْتحقُّهُ كلمة (المهد) من حركة إعرابيّة، وهي الكسرة الناتجة وفقاً للقاعدة النحوية عن حالةِ الجرِّ، لأنَّها مجرورة بحرف الجرِّ، وهو أمرٌ سيؤدي إلى تشكُّلِ العنقود الصوتي الذي نحن بصدد الحديث عنه، بسبب وجود الهاء الساكنة قبله:

مَهْدِ صَبِيًّا	←	مَهْدْ صَبِيًّا	←	مَهصَّبيا
mah/di/ṡa/biy/yā		mahdṡa/biy/yā		mahṡṡabiyyā
الصورة الفصيحة (المعيارية)		ضياع الحركة		الصورة النهائية

ففي الصورة الفصيحة (المعياريَّة)، نجد أنَّ المقاطع الصوتيَّة متَّفِقَةٌ مع المعيار الفصيح، وهو أمرٌ لا نجده في البنية السطحيَّة الأخرى التي تُمَثِّلُها قراءة أبي عمرو بن العلاء.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ﴾[46]، نجد أنَّ (بعض) جاءت في سياقِ الجرِّ؛ بسبب حرف الجرِّ (اللام)، مما اقتضى وجود الكسرة،

وهي علم الإضافةِ التي لا يجوز حذفُها في حالة الوصل، الذي هو من مقتضيات الإضافة، إلا إذا تخلَّصت اللغة من الإعراب، وقد روى اليزيدي عن أبي عمرو ابن العلاء، أنَّهُ أدغم الضاد في الشين بعدها[47]. وهو وضعٌ لا يحدثُ مع وجود الكسرة، ولكن لمَّا حُذِفَتْ، التقت الضاد المُسَكَّنَةُ مع الشين، وبينهما شيءٌ من التقارب في الصفات، ولا سيما إذا ذكرنا الضاد التي وصفها سيبويه بوصف يختلف عن وصف علماء اللغة المعاصرين[48]، وقد حدثت هذه العملية مع وجود العين الساكنة التي تسبق الضاد، وهو ما أدَّى إلى التقاء ثلاثة صوامت متوالية دون وجود فاصلٍ حركيٍّ بينها، على النحو الآتي:

بَعْضِ شَأنِهِم	←	بَعْضْ شَأنِهِم	←	بَعْشَّأنهم
ba˂/di/ša˃/ni/him		ba˂dša˃nihim		ba˂šš˃nihim
الصورة الفصيحة		ضياع الحركة		الصورة النهائية

فقد كان العنقود الصوتي المشار إليه هنا، مكوَّناً في البنية السطحية النهائيَّة في قراءة أبي عمرو هو (˂šš)، وهو أمرٌ غير موجود في المعيار الصوتيِّ للعربيَّةِ الفصحى.

وجاء مثلُ هذا أيضاً في قوله: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[49]، فقد أدغم أبو عمرو راء (العمر) المجرورة باعتبار حالة الإضافة بلام (لِكَيْلا)[50]. فقبل الإدغام، كانت المقاطع المكوِّنَةُ لعبارة (عُمر لكيلا) موافقة للنظام الصوتي الفصيح، وهي على النحو الذي يظهر في المخطط الصوتيّ (باعتبار تسكين الميم): ˂um/ri/li/kay/lā، ولكنَّ ضياع الإعراب من كلمة (عمرِ) أدَّى إلى التقاء الراء واللام، وهما من الأصوات المائعة المتقاربة في المخرج والصفة[51]، مما أدّى إلى حدوث عملية الإدغام. وبغضِّ النظر عن تسويغ هذه العملية، فقد أدَّى حذف الكسرة إلى وضْعٍ مسبب عن أن الميم قبلها في (عمْر) تكون ساكنة في بعض البيئات الاستعمالية، فتشكَّلَ عنقودٌ صوتيٌّ مكوَّنٌ من ثلاثة صوامت متوالية دون وجود فاصلٍ حركي بينها:

عُمْرِ لِكَيْلا ← عُمْرْ لِكَيْلا ← عُمْلِّكَيْلا

ʿum/ri/li/kay/la ʿumrlikayla < umllikayla

الصورة الفصيحة (المعيارية) ضياع الحركة الصورة النهائيّة

والعنقود الصوتي الذي يظهر في البنية السطحية في قراءة أبي عمرو هو (mll).

وفي قولِهِ تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾[52]، نجدُ أنَّ كلمةَ (اللهوِ) جاءت في حالة جرٍّ؛ لأنَّها مسبوقة بحرف الجرّ (من)، فاستحقَّت الكسرة، وجميع المقاطع التي تشكِّلُ قوله (من اللهوِ ومن) مقاطع منسجمة مع النظام الصوتي المعياريّ الذي اتَّخذته العربية الفصحى، ولكنَّ قراءة أبي عمرو بن العلاء بإدغام واو (اللهوِ) في واو العطف[53]، جاءت خارجة على هذا النظام، فقد اجتمعت فيها الواوان مع الهاء في (اللهو) لأنَّها ساكنة:

اللهوِ وَ ← اللهوْ وَ ← اللهوَّ

">"al/lah/wi/wa ">"al/lah/wwa ">"allahwwa

الصورة الفصيحة ضياع الحركة الصورة النهائية

فبعد ضياع الكسرة التي استحقَّها نمط (اللهوِ)، التقت الواو الساكنة مع واو العطف في (ومن)، فأدَّى ذلك إلى تشكُّلِ العنقود الصوتي الذي نتكلَّمُ عنه، وهو في هذه الحالة (hww).

ونعرض مثالاً أخيراً لضياع الكسرة، وهو ما جاء في سياق القراءات القرآنية لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾[54]، فقد رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء أنَّهُ أدغمَ الراء في (الدهْرِ) باللام بعدها[55]، وهو إدغامٌ لا يحدث مع وجود كسرة الجرِّ في (الدهرِ)؛ لأنَّ الحركة تمنعُ الإدغام، فالقراءة صحيحة مروِيَّةٌ عن ثقة، ولكنَّها أدَّت إلى وضْعٍ صوتيٍّ آخر، وهو تشكُّلُ العنقود الصوتي المشار إليه، فقد سُكِّنت الراء وقبلها هاء ساكنة، وبعدها اللام، وسواء أدغمت فيها أم لم تُدْغم، فإنَّ ضياع الكسرة أدَّى إلى هذا الوضع:

دَهْرِ لَمْ ← دَهْرْ لَم ← دَهْلَّم

dah/ri/lam dahrlam dahllam

الصورة الفصيحة ضياع الحركة الصورة النهائية

3 - ضياع الفتحة

إذا كان ضياع الضمّة والكسرةِ الذي عرضنا له في الفقرتين السابقتين يمكن أنْ يكون ناشئاً من الناحية النظريّةِ عن صعوبتهما، فإنَّ الفتحةَ أخفُّ الحركات[56]، ولا يمكن حذفها للثقل، مما يثبِتُ أنَّ حذف هذه الحركات كان ميلاً عارضاً باتّجاه التخلُّص من الإعراب، وقد جاء حذف الفتحة في مواضع كثيرة من قراءة أبي عمرو بن العلاء، وذلك على النحو الآتي:

في قوله تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا﴾[57]، نجد أنَّ المقاطع الصوتية المشكِّلَة لقوله تعالى: (الرعبَ بما) جاءت متوافقة مع النظام الصوتي المعياري للعربية الفصحى، وهي (a/ru</ba/bi/ma"<>"). ولكنَّ قراءة أبي عمرو بإدغام الباء في الباء[58]، غيّرت هذا الأمر إلى وضْعٍ لا يقبله هذا النظام، بل يقبله نظامٌ مقطعِيٌّ آخر تُمَثِّلُهُ هذه القراءة، أو إحدى اللهجاتِ العربية، فقد تولدَّ عنها تتابع ثلاثة صوامت في عنقود صوتيٍّ واحدٍ، دون وجود فاصلٍ حركيٍّ بينها، وعملية الإدغام لا تحدث مع وجود الفتحة؛ لأنَّ كلمة (الرُّعبَ) في حالة مفعولية من وجهة نظر العلماء القدامى، أو لأنَّها الحركة الخفيفة من وجهة نظر إبراهيم مصطفى[59]، وهذه الفتحة كأيِّ حركة، تُشَكِّلُ مانعاً من موانع الإدغام، ولكنها لما ضاعت بوصفها حركة إعرابية، التقت الباء المسكَّنة، بالباء بعدها، فأُدغِمَتْ فيها، وكانت مسبوقة بالعين الساكنة أصلاً، فتشكَّلَ العنقود الصوتيّ (bb>).

وفي قوله سبحانه وتعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾[60]، قرأ أبو عمرو بن العلاء بإدغام الواو في (العفوَ) بالواو بعدها[61]، وهو إدغامٌ لا يتحقَّقُ إلا إذا حُذِفَتْ فتحةُ المفعول في (العفوَ)، وقد حُذِفَتْ هذه الفتحة بالفعل في قراءة أبي عمرو، وكانت الفاء قبلها ساكنة أصلاً،

فأدَّى هذا إلى الوضع الذي نحن بصدد الحديث عنه، وهو تَشَكُّلُ عنقود صوتي مكوّن من تتابع ثلاثة صوامت، دون فاصل حركيٍّ بينها، أي:

عَفْوَ وَ ⟵ عَفْوْوَ

ˁaf/wa/wa ⟵ ˁafwwa

الصورة الفصيحة   الصورة النهائية

ففي المرحلة الأخيرة التي تُمَثِّلُ قراءة أبي عمرو، تَشَكَّلَ العنقود الصوتي المكوّن من الفاء والواو المسكَّنة التي بعدها (fww)، دون وجود فاصل بينها، كما نرى.

كما تبدّى هذا الأثر أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[62]، فقد أدغم أبو عمرو بن العلاء الدال من (بعدَ) بالتاء بعدها[63]، ولا يُسَوِّغُ هذا الإدغام مُطْلقاً مع بقاء الحركة، وهي حركة الظرف المنصوب، ولمَّا حُذِفَتْ، التقت الدال المُسَكَّنةُ مع التاء بعدها، وهما من مخرجٍ واحد، فحدثت عملية الإدغام.

وبعيداً عن عملية الإدغام، فقد كانت العين التي تسبق الدال ساكنةً في الأصل، وقد أدَّى هذا الوضع بدوره إلى التقاء ثلاثة صوامت دون أن يفصل بينها فاصل حركي، وهو ما يُشَكِّل خرقاً واضحاً للنظام الصوتي في المعيار الفصيح، وهو مسبَّبٌ فيما نرى عن ضياع الإعراب، أو اتِّجاه اللغة نحو التخلُّصِ من ظاهرة الإعراب، والأمر كما يبدو تَمَّ على النحو الآتي:

بَعْدَ تَوْكيد ⟵ بَعْدْ تَوْكيدِ ⟵ بَعْتَّوْكيدِ

baˁ/da/taw/ki/di ⟵ baˁdtawkidi ⟵ baˁttawkidi

الصورة الفصيحة   ضياع الحركة   الصورة النهائية

فالمقاطع الصوتية في المرحلة الأولى التي يمثِّلها الجانب الاستعمالي الفصيح المتمَثِّل في القراءات التي لم تصل إلى ما وصلت إليه قراءة أبي عمرو، مقاطع مقبولة، وتناسب النظام المقطعي العربيّ، من حيث تتابعُ الحركات والصوامت، ولكنَّها جاءت على غير هذا عندما ضاعت حركة الظرف (بَعْدَ)،

فقد التقت العين الساكنة مع الدال المُسَكَّنَة (التاء الجديدة المتولِّدة عن المماثلة) والتاء الأصلية: (dt> ←tt>).

وأمَّا المعيار الذي نظر إليه سيبويه والقدماء، فأعتقد أنَّه معيار صوتي، فقد أحسَّ سيبويه أنَّ النطق بهذا العنقود الصوتي في ضوء معطيات النظام الفصيح غير ممكن، ولكننا نقول إنَّه لا يجوز ردُّ هذه القراءة المروِيَّة عن أبي عمرو بن العلاء رواية صحيحة؛ لأنَّها تخالف النظام المعياري أو القاعدة اللغويَّة، فهذا استعمال عربي فصيح تؤيِّده هذه القراءة القرآنية الصحيحة، التي من الممكن توظيفها في عمليَّة استقصاء طريق العربية الذي سارت فيه من أجل التَّخَلُّص من الحركة الإعرابيَّة، كما أنَّ أبا عمرو لم يكن يقرأ باجتهاد، بل كانت نسبة القراءة إلية نسبةَ رواية.

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾[64]، رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء أنَّهُ أدغمَ الراء في الراء[65]، وهذا إدغامٌ لا يتحقَّقُ في المستوى الاستعمالي الفعلي ما لم يتمَّ التخلُّصُ من حركة المفعول به (البحْرَ)، فلمَّا تخلَّصت اللغة من هذه الحركة في بعض سياقاتها الاستعماليَّة كما في قراءة أبي عمرو هنا، التقت الراء المسكَّنة مع الراء بعدها، حدثت عملية الإدغام، وقد كانت المقاطع قبل التَّخَلُّص من حركة الإعراب على النحو الآتي:

(baḥ/ra/rah/wan)، فهي مقاطع منسجمة مع النظام المقطعي للعربية الفصحى، ولكنَّ ضياع الحركة الإعرابية أدَّى إلى وضع مختلف عن هذا المعيار تماماً، فقد كانت الراء التي تسبق الراء المَسَكَّنَةَ ساكنةً أيضاً، فتشكَّل العنقود الصوتي الآتي: (ḥrr).

وقد أحسَّ القدماءُ هذا الوضع الصوتي الذي لا ينسجم مع المعيار الفصيح؛ لذا فقد عاملوه بعيداً عن مستوى القرآن في ردٍّ يسيء إلى القراءات القرآنية، وهو مرفوضٌ من وجهة نظر المنهج الوصفي الذي ينبغي أنْ يؤخذَ به، فقد وصفوا هذه القراءة بالرداءة، وهذا إجحافٌ بحق اللغة قبل أنْ يُشَكِّلَ جزءاً من الحملة التي وَجِّهَتْ إلى القراءات القرآنية، وهي عملية رفع لواءها بعض البصريين، فقد قال السيرافي: "والإدغام في مثل هذا رديء، وأنَّ ما قبله ليس

من حروف المدِّ واللين، ولا يجوز أنْ تُنْقَلَ حركةُ المدغم إلى ما قبله؛ لأنَّ ذلك إنَّما يكون في كلمة واحدة"[66]، وهذا يعني محاكمة شريحة لغوية استعمالية من الواقع الاستعمالي الفعلي، رُوِيَ بها أثرٌ استعماليٌّ موثوقٌ، وهو القرآن الكريم، وفقاً لقاعدة سيبويه التي وضعها للنظام المعياري الفصيح[67]. وقد كان ابن يعيش أقلَّ حدَّةً في التعامل مع هذه القراءة وسواها، عندما ذكر أنَّ هذا الذي ذكره سيبويه والقاعدة الصوتية العربية هو الأصل، ولذا، ينبغي أنْ يُحْمَلَ عليه كلُّ موضع يذكر القرّاء أنَّه مدغم، والقياس يمنع منه، على الإخفاء[68].

والمعني بالإخفاءِ كما يظهر لي، هو أنَّه لا بدَّ من وجود حُرَيْكَةٍ تفصل بين مكوِّنات هذا العنقود الصوتي الناتج عن ضياع الحركة.

ومن الأمثلة التي يمكن أنْ نسوقَها على هذا الوضع أيضاً، ما جاء في قولِهِ سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾[69]، فقد رُوِيَ عن أبي عمرو بن العلاء أنَّهُ أدغمَ سين (الشمس) في سين (سِراجا)[70]، وهذا الإدغام من الناحية الصوتية أمرٌ لا يمكن تصوُّرُهُ دون التخلُّصِ من الحركة الإعرابيَّة التي يستحقُّها لفظ (الشمسَ) باعتبار المفعولية، فلمَّا تخلَّصت القراءة منها، التقت السين المُسَكَّنَةُ مع السين في وضْعٍ لا يمكن أنْ يحدثَ في المستوى الفصيح دون أنْ يحدثَ تخلُّصٌ من حركاتِ الأواخر، ومن ثمَّ، فإنَّه لا يحدث خرقاً للأصل الذي تحدَّث عنه علماؤنا القدامى، ولكنَّ وجود الميم الساكنة، أدَّى إلى توالي ثلاث صوامت دون وجود فاصلٍ حركيٍّ بينها، وذلك على النحو الآتي:

شَمْسَ سِراجا	⟵	شَمْسْ سِراجا
šam/sa/si/rā/ǧā		šamssirāǧā
الصورة الفصيحة		الصورة النهائية

فالمقاطع في الاستعمال الأول الذي يمثِّله المستوى العام والقراءات القرآنية المختلفة لا تشكِّلُ خرقاً للنظام المعياري الذي بحثه العلماء، وهو نظامٌ غير مُلْزِمٍ للمستويات اللهجية الأخرى، سارت في طريق قبوله، فتخلَّصت من بعض الحركات الإعرابيَّة والبنائية في بعضِ السياقات (حركات الأواخر)، فأدَّى

ذلك إلى تشكُّلِ هذه العناقيد الصوتيَّة التي نراها في هذه الاستعمالات اللهجية اللغوية.

والحقيقة التي نفتقدها هنا، هي أنَّ هذه الأمثلة الاستعماليَّة، ذات دلالة صوتيَّة إعرابية في الوقت نفسه؛ فأمَّا الدلالة الصوتية، فتتمثَّلُ في ميل اللغة إلى الاقتصاد في الجهد المبذول في عمليَّة النطق، وفقاً لتوجُّهات تداوليَّة (براجماتية)، واللغة في هذا، لا تستشيرُ أبناءها في هذا الأمر كما هو الحال في غيره من مظاهر الحراك اللغوي؛ لأنَّه ميلٌ عارضٌ تلقائي.

وأما الدلالةُ النحوية الإعرابيَّة، فتتمثَّلُ أيضاً في أنَّ اللغة قد توجَّهت توجُّهاً تداوليّاً (براجماتياً) آخر، وهو التَّخلُّصُ من الإعراب وحركات الأواخر بصورة عامَّة، وهو أمرٌ ليس بالغريب في اللغة العربيَّة، فقد حدث الأمرُ نفسه في أخواتها من اللغات الساميَّة، كالسريانية والعبريَّة مثلاً، وهما لغتان قامتا بتعميم هذا الأمر في جميع سياقات الاستعمال اللغوي فيهما، كما توجَّهت إليه اللغة الحبشية (الجعزية)، وإنْ كانت لم تصِلْ إلى مستوى اللغات السابقة، حيث لم يظهر فيها إلا حالة النصب الدالّة على المفعول به والمفعول المطلق والمفعول فيه (الظرف).

كما يمكنُ أن ينسحبَ هذا الأمرُ على معظم اللغات الساميَّة، ولكن الذي يمنع من تعميم هذا الحكم عليها، هو أنَّ معظم هذه اللغات قد أهملت وضع رموز كتابيَّةٍ للحركات ضمن نُظُمِها الكتابيَّة، في جميع مواضعها.

ونشير هنا إلى أنَّ العربية لغة معربَة منذ البداية، على العكس مما يقول الدكتور إبراهيم أنيس الذي رأى أنَّ اللغة أُعْرِبَتْ بعد أنْ كانت غيرَ معرَبةٍ[71]، وهو رأي كان قد نادى به كارل فوللرز الذي درس اللغة الشعبية واللغة الأدبية في الجزيرة العربية[72]، رأى فيه أنَّ النصَّ القرآني قد كُتِبَ بإحدى اللهجات الشعبية التي كانت سائدة في الحجاز، التي لا يوجد فيها كما لا يوجدُ في غيرها من اللهجات العربيَّة تلك النهايات المسمَّاة بالإعراب، وأنَّه انتقل إلى هذا النص فيما بعد، وهو يرى زيادة على ذلك أنَّ اللغة العربيَّة الأدبيَّة لغة مصنوعة، منكراً أنَّ اللغة كانت حيَّة في مكَّةَ في عهد رسول الله صلّى الله عليه وسلَّمَ[73].

وما أريد أن أذكرَهُ هنا، هو أنَّ القراءات التي عرضنا ما فيها من ظواهر صوتيَّة، تمثِّلُ ردَّاً على رأي كارل فوللرز ومن ذهب إلى متابعته مثل (كاله)، فهذه القراءات الصحيحة المروية عن الرسول صلى الله عليه وسلَّم تبيِّنُ، فيما أرى، مستوى من مستويات الاستعمال اللغوي الذي سعى نحو التخلُّصِ من الحركات الإعرابيَّة وحركات الأواخر.

وينبغي أنْ نشير في نهاية هذه الدراسة إلى أنَّ أثر ضياع الحركات في تغيير النظام المقطعي للغة لا يتوقَّف عند ضياع حركات الأواخر في الإعراب والبناء، فقد جاء أيضاً في الحركات البنائية الداخلية، وهو أمر كثير الوقوع في اللغة؛ لذا فإنَّهُ من الممكن حمله على الناحية التداولية أيضاً، وقد فطن العلماء العرب القدماء إلى هذه القضية، فحمله سيبويه على ما يُسَكَّنُ استخفافاً، وهو في الأصل متحرِّكٌ، ومثَّل له بـ(فَخِذ) و(كَبِد) و(عَضُد)، و(رَجُل)، و(كرُمَ)، و(عَلِمَ)، إذ يقال فيها: فَخْذ، وكَبْد، وعَضْد، ورَجْل، وكَرْمَ، وعَلْم، وأشار إلى أنَّها لغة لبكر بن وائل، وأناس كثير من بني تميمَ[74]، وقد حمل هذا على التخفيف، فقد أشار إلى أنَّ هؤلاء كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم عن المفتوح إلى المكسور، والمفتوح أخفُّ عليهم، فكرهوا أنْ ينتقلوا من الأخفِّ إلى الأثقل[75].

وقد رصدت الدراسة بعض الأمثلة على مثل هذا المظهر، ولكنه لا يتعلَّق بحركات الأواخر، فمنه مثلاً:

في قوله عزَّ من قائل: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ﴾[76]. قرأ أبو عمرو بإدغام التاء في التاء[77]، أي بتشديد تاء (تولّوا)، وهو ما عُرِفَ في القراءات القرآنية بمصطلح (تاءات البزي)[78]، وكانت النون قبلها ساكنة، وقد أدَّى هذا إلى تكوُّنِ عنقود صوتِيٍّ مكَوَّن من النون الساكنة والتاء المشدّدة، ونُوَضِّحُ ذلك بالمخطط التحليلي الآتي:

إنْ تَتَوَلوا	←	إن تَّولوا
>in/ta/ta/wal/law		>inttawallaw
الصورة الفصيحة		الصورة النهائية

فقد أدَّى ضياع الحركة إلى التقاء التاء الساكنة بالتاء بعدها، وقبلهما النون الساكنة، كما في الصورة النهائية التي يظهرها المخطَّط، وأما في القرآن الكريم، فقد جاءت صورتها (وإن تَوَلّوا) بتاء واحدة، بحذف إحدى التائين تخفيفاً، وأما قراءة أبي عمرو، فإنَّها تنظر إلى الأصل بتائين (تتولوا)، وهو الأصل، وليست متطوِّرة عن قراءة الجماعة.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾[79]، رُوِيَ عن أبي عمرو أنَّه قرأ بإدغام التاء في التاء[80]، إذْ إنَّ الأصلَ هو: تَتَلَقُّونَهُ (tatalaqqunahu)، وقد سُكِّنت التاء الأولى، وهي مسبوقة بالذال الساكنة، وهو ما سوَّغ الإدغام، وتتابع ثلاثة صوامت دون وجود فاصل بينها:

إِذْ تَتَلَقُّونَهُ	←	إذْ تْتَلقُّونَه
>iḏ/ta/ta/laq/qū/na/hu		>iḏttalaqqūnahu
الصورة الفصيحة		ضياع الحركة

فتشكَّلَ العنقود الصوتي (ḏtt).

ويذكرُ أنَّ سيبويه لا يجيز هذا الإدغام، بسبب هذا الوضع الصوتي[81].

وأمَّا المعيار الذي نظر إليه سيبويه والقدماء، فأرى أنَّه معيار صوتي، فقد أحسَّ سيبويه بأنَّ النطق بهذا العنقود الصوتي في ضوء معطيات النظام الفصيح غير ممكن، ولكننا نقول إنَّه لا يجوز ردُّ هذه القراءة المروِيَّة عن أبي عمرو بن العلاء رواية صحيحة؛ لأنَّها تخالف النظام المعياري أو القاعدة اللغويَّة، فهذا استعمال عربي فصيح تؤيِّده هذه القراءة القرآنية الصحيحة، التي من الممكن توظيفها في عمليَّة استقصاء طريق العربية الذي سارت فيه من أجل التَّخَلُّص من الحركة الإعرابيَّة، كما أنَّ أبا عمرو لم يكن يقرأ باجتهاد، بل كانت نسبة القراءة إلية نسبةَ رواية.

الهوامش والمراجع

(1) الزجاجي، أبو القاسم: **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق مازن المبارك، بيروت: دار النفائس، 1986، ص 69.

(2) انظر في ترجمته والتعريف به: الزبيدي: **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، (د.ت)، ص99-100، والسيوطي: **بغية الوعاة في أخبار اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، بيروت: دار الفكر، 1979، ص1/ 242، وقطرب، محمد بن المستنير، **الأزمنة وتلبية الجاهلية**، تحقيق: حنا حداد، ، الزرقاء- الأردن: مكتبة المنار، 1985، ص20-22، مقدِّمة المحقق.

(3) الإيضاح في علل النحو، ص70-71.

(4) عبد التواب، رمضان: **فصول في فقه العربية**، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1985، ص382.

(5) بروكلمان: **فقه اللغات السامية**، ترجمة: رمضان عبد التواب، الرياض: منشورات جامعة الرياض، 1977، ص102، وينظر: فصول في فقه العربية، ص384.

(6) - Moscati, S., (et al), **An Introduction to the Cimparative Grammar of the Semitic Languages**, Viesbaden, 1969, P. 95.

(7) فصول في فقه العربية، ص384-385، ورمضان عبد التواب، **في قواعد الساميات**، طبعة مصورة بالأفست، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1987، ص341، ورمضان عبد التواب، **نصوص من اللغات السامية مع الشرح والتحليل والمناقشة**، القاهرة: (د.ن)، 1979، ص121.

(8) يقصد بالمتحجرات اللغوية تلك الأنماط التي خلَّفتها ظاهرة من الظواهر اللغوية المندثرة، وظلَّتْ شاهداً على أنها كانت موجودة في اللغة يوماً ما.

(9) في قواعد الساميات، ص93.

(10) انظر تفصيلاً لهذا الرأي في: الأنطاكي، محمد: **الوجيز في فقه اللغة**، بيروت: دار الشرق، (1979)، ص315-317.

(11) خليل، حلمي: **العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1988، ص148.

(12) إبراهيم، أنيس: **من أسرار اللغة**، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، 1994، ص198.

(13) السامرائي إبراهيم: **فقه اللغة المقارن**، بيروت: دار العلم للملايين، 1978، ص117-124.

(14) فصول في فقه العربية، ص371-395.

(15) الوجيز في فقه اللغة، ص313-331.

(16) فليش هنري، **العربية الفصحى، نحو بناء لغوي جديد**، تعريب: عبد الصبور شاهين، بيروت: دار المشرق، 1986، ص59.

(17) العنقود الصوتي كما سيتضح هو من أهم الأفكار التي تطرحها هذه الدراسة عملياً، ونعني به

مجموعة من الصوامت المتتابعة (consonants) في سلسلة صوتية واحدة دون أن يفصل بينها فاصل، مثل (str) في كلمة (street) أو (strange). ينظر Al-Khuli, M., **A Dictionary of Theoritical Linguistics**, Lebanon Library, Birut, (1982), P.44. &Crystal, **A First Dictionary of Linguistics & Phonetics**, London, (1980), P. 65.

(18) ابن يعيش: **شرح المفصل**، المطبعة المنيرية، القاهرة، (د.ت)، 10/ 121.

(19) إبراهيم، أنيس: **الأصوات اللغوية**، القاهرة: المكتبة الأنجلو المصرية، (1979)، ص186.

(20) الأصوات اللغوية، ص187.

(21) بشر، كمال: **في علم اللغة العام، الأصوات اللغوية**، القاهرة: مكتبة الشباب، 1987، ص108، وفوزي الشايب، **المنهج الصوتي للبنية العربية**، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، القاهرة: جامعة عين شمس، 1984، ص41. وعبد الله الكناعنة، **أثر الحركة المزدوجة في بنية الكلمة العربية**، عمَّان: منشورات وزارة الثقافة، مطبعة كنعان، إربد، 1997، ص7.

(22) عمر، أحمد مختار: **دراسة الصوت اللغوي**، القاهرة: عالم الكتب، 1991، ص291.

(23) احتفظت هاتان اللغتان ببعض المظاهر الإعرابية، فقد ظلت الأكادية في مراحلها المتأخرة محتفظة بما نطلق عليه الحركة المجهولة (e)، فيما كانت كاملة الإعراب في مراحلها الأولى، كما في العربية الفصحى، وأما الإثيوبية (الجعزية)، فقد حافظت على بعض حالات النصب، انظر: في قواعد الساميات، ص341.

(24) وذلك كالسريانيّة والعبريّة وبعض اللهجات الكنعانية، فإنه لم يبقَ في الغالب أيُّ أي أثر للإعراب فيها، ما عدا بعض المتحجرات اللغوية، في العبرية، انظر: فصول في فقه العربية، ص382-385.

(25) البقرة/ 85.

(26) السيوطي: **همع الهوامع، شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، الكويت: دار البحوث العلمية، 1977، 3/ 205. ومن الممكن أن تكون هذه الحركة هي الفتحة في لهجة من لهجات العرب.

(27) السيرافي، أبو سعيد: **إدغام القراء**، تحقيق محمد الرديني، القاهرة: مطبعة الأمانة، 1984، ص25، وأورد عبد اللطيف الخطيب، **معجم القراءات**، دمشق: دار سعد الدين، 2002، 1/ 105، أن أبا عمرو قد أبدل الهمزة ياء، (شيتم). ومثل هذا الموضع أيضاً ما ورد في قوله تعالى: "يلهث ذلك" في قراءة أبي عمرو بن العلاء، بالإدغام أيضاً، وهي مماثلة كلية مدبرة متَّصلة بعد ضياع الحركة الإعرابية، انظر: مكي بن أبي طالب القيسي **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محيي الدين رمضان، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1981، 1/ 157.

والقراءة الأولى (حيْشِّتم) مروية عن يعقوب أيضاً، وقراءة الجماعة: حيثُ شِئْتم، ينظر: عبداللطيف الخطيب، معجم القراءات، 1/ 105.

(28) البقرة/ 185.

(29) أبو سعيد السيرافي، إدغام القراء، ص36، وأوردها أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، مطابع النصر الحديثة، الرياض، (1983)، 2/ 39، عن الحسن ويعقوب، وينظر: عبد اللطيف الخطيب، معجم القراءات، 1/ 254.

(30) مريم/ 2.

(31) أبو سعيد السيرافي، إدغام القراء، ص36، وانظر: ابن يعيش، شرح المفصَّل، 10/ 147، وقراءة الجماعة: ذِكْرُ رَحْمَة، وتروى قراءة الإدغام عن أبي عمرو ويعقوب، ينظر: معجم القراءات، 5/ 334.

(32) مريم/ 4.

(33) أبو سعيد السيرافي، إدغام القراء، ص44، وقراءة إدغام السين في الشين، مروية عن أبي عمرو بن العلاء، ويعقوب، والحسن، وأبي بن كعب، وقرأ الباقون بالإظهار، ينظر: عبداللطيف الخطيب، معجم القراءات، 5/ 337.

(34) سيبويه: **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، بيروت: دار المعرفة، (نسخة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة)، 4/ 466، وابن جني: **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت: دار الهدى، (د.ت)، 2/ 12، وابن جني أيضاً، **سر صناعة الإعراب**، تحقيق: حسن هنداوي، دمشق: دار القلم، 1985، 1/ 174-175.

(35) الأعراف/ 77.

(36) أبو سعيد السيرافي، إدغام القراء، ص36، وهي قراءة يعقوب أيضاً، وروي عنهما الاختلاس، معجم القراءات، 3/ 97.

(37) إدغام القراء، ص36.

(38) يونس/ 21.

(39) إدغام القراء، ص32، والقراءة مروية عن يعقوب أيضاً، بخلاف عنهما، وروي عنهما الاختلاس أيضاً، معجم القراءات، 3/ 518.

(40) الإسراء/ 42.

(41) إدغام القراء، ص44، وقد رفض البصريون أن يجيزوا إدغام الشين في السين. ولكن القراءة صحيحة، ومروية عن أبي عمرو، ينظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، 1/ 387، والجماعة على عدم الإدغام، ينظر: معجم القراءات، 5/ 69.

(42) النحل/ 90.

(43) إدغام القراء، ص62، والقراءة مروية عن يعقوب أيضاً، كما روي عنهما الإظهار، وروي عن قراء آخرين (والبغي عظكم) بحذف الياء، ينظر: معجم القراءات، 4/ 679.

(44) مريم/ 29.

(45) إدغام القراء، ص33، وهي قراءة يعقوب أيضاً، بخلاف عنهما، ونسب إلى أبي عمرو أنه أخفى ولم يدغم، معجم القراءات، 5/ 362.

(46) النور/ 62.

(47) إدغام القراء، ص45، وهي قراءة أبي عمرو من طريق اليزيدي، وقد ضعَّفها أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط، 6/ 476، ينظر: معجم القراءات، 6/ 307.

(48) الكتاب، 4/ 432، وقد وصفها القدماء بأنَّها صوت احتكاكي، مخرجه من أوَّل حافة اللسان، وما يليها من الأضراس، إلا أنك إنْ شئْت تكلَّفتها من الجانب الأيسر، وإذا شئت تكلَّفتها من الجانب الأيمن، مع استطالة في مخرج هذا الصوت.

(49) الحج/ 5.

(50) إدغام القراء، ص39، وهي مروية عن يعقوب أيضاً، وقراءة الجماعة بالإظهار، مع بقاء الحركة، ينظر: معجم القراءات، 6/ 84.

(51) عبد التواب، رمضان: **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1985، ص126.

(52) الجمعة/ 11.

(53) إدغام القراء، ص59، وذكر عبد اللطيف الخطيب في معجم القراءات، 9/ 464، أنها لابن اليزيدي، عن أبيه عن أبي عمرو ويعقوب، وقراءة الجماعة بتحريك الواو، وعدم الإدغام.

(54) الإنسان/ 1.

(55) إدغام القراء، ص40، ومما يذكر هنا أن (يعقوب) قد شاركه هذه القراءة، وذكر بعض العلماء أنَّ هذا يحمل على الإخفاء لا على الإدغام، وقراءة الجماعة بالإظهار وعدم الإدغام، وتحريك الراء، معجم القراءات، 10/ 205.

(56) إبراهيم، مصطفى: **إحياء النحو**، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1959، ص78.

(57) آل عمران/ 151.

(58) إدغام القراء، ص3، وهي قراءة يعقوب أيضاً، ينظر: همع الهوامع، 6/ 284، معجم القراءات، 1/ 595، وأورد الخطيب أن البصريين حملوا هذا الإدغام على الإخفاء.

(59) إحياء النحو، ص78.

(60) الأعراف/ 199.

(61) إدغام القراء، ص59، وهي قراءة يعقوب أيضاً، وروي عنهما الإظهار والاختلاس، معجم القراءات، 3/ 247.

(62) النحل/ 91.

(63) إدغام القراء، ص30، وهي قراءة يعقوب وأبي عمرو، وقد رويَ عنهما الإظهار أيضاً، ومال بعض العلماء إلى حمل القراءة على الإخفاء، وليس على الإدغام، وهو موضع وحيد في القرآن، وأما قراءة الجماعة فبفتح دال (بعدَ)، والإظهار.

(64) الدخان/ 24.

(65) إدغام القراء، ص36، وهي قراءة يعقوب أيضاً، انظر القراءة في همع الهوامع، 6/ 285، وينظر: معجم القراءات، 8/ 429.

(66) إدغام القراء، ص37.

(67) الكتاب، 4/ 450-451.

(68) شرح المفصل، 10/ 147.

(69) نوح/ 16.

(70) إدغام القراء، ص43، وهي قراءة يعقوب أيضاً، ورويَ عنهما الاختلاس أيضاً، وقراءة الجماعة بالإظهار، معجم القراءات، 10/ 102.

(71) من أسرار اللغة، ص202.

(72) فصول في فقه العربية، ص377.

(73) فصول في فقه العربية، ص377-378.

(74) الكتاب، 4/ 113.

(75) الكتاب، 4/ 114.

(76) هود/ 3.

(77) إدغام القراء، ص23، وقراءة الجماعة: (وإنْ تَوَلوا)، وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن فليح وابن محيصن: وإنْ تَوَلُّوا، ينظر: مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، 1/ 315، ومعجم القراءات، 4/ 6.

(78) المقصود بتاءات البزي ما عرف عن القارئ أحمد بن محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزّة من أهل همذان (ت 250هـ) من إدغامه التاء في التاء إذا كانت في أول الكلام في بعض السياقات القرائية، كإدغامه تاء تتيمموا في قوله (ولا تيمموا الخبيث)، في التاء بعدها، وهو لا يكون إلا في السياق الذي تكون التاء فيه مسبوقة بكلام، وينظر في التعريف به: ابن الجزري: **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: برجشتراسر، بيروت: دار الكتب العلمية، 1980، 1/ 119-120.

(79) النور/ 15.

(80) إدغام القراء، ص23، وأورد أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط 6/ 438، ورصده عبداللطيف الخطيب في معجم القراءات 6/ 237، أنها قراءة عبيد عن أبي عمرو وهشام وخلاد وحمزة والكسائي وخلف واليزيدي وابن محيصن والحسن، وأما قراءة الجماعة فهي بالإظهار، وبها قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر ويعقوب وابن ذكوان. وقرأ ابن كثير والبزي وابن فليح بتشديد التاء في الوصل.

(81) الكتاب، 4/ 476.

الرموز الصوتية المستعملة في الدراسة

– الهمزة	>	الواو	w
– الباء	b	الياء	Y
– التاء	t	الفتحة القصيرة	a
– الثاء	ṯ	الفتحة الطويلة	ā
– الجيم	g	الضمة القصيرة الخالصة	u
– الحاء	ḥ	الضمة الطويلة الخالصة	ū
– الخاء	ẖ	الكسرة القصيرة الخالصة	i̱
– الدال	d	الكسرة الطويلة الخالصة	ī
– الذال	ḏ	تتحوَّل إلى	←
– الراء	r		
– الزاي	z		
– السين	x		
– الشين	š		
– الصاد	ṡ		
– الضاد	d		
– الطاء	t		
– الظاء	ż		
– العين	>		
– الغين	ġ		
– الفاء	f		
– القاف	q		
– الكاف	k		
– اللام	l		
– الميم	m		
– النون	n		
– الهاء	h		